

وما يقيم، بين الكتل، توازناً آلياً، ظاهرة واحدة: الترجمة. وعودة إلى «فهرس الترجمة» الذي تصدره منظمة الأونسكو منذ 1950، تضيء على أبرز تيارات الترجمة، وهي تدرج في ثلاثة:

1 - التيار الايديولوجي، في مجموعة اجتماعية سياسية واحدة، ومنه تنبثق التيارات النابعة من الكتلة الروسية، والتي تتوجه إلى الوحدات اللغوية الداخلية في الاتحاد السوفياتي، أو إلى الكتل اللغوية الصغرى في البلدان التابعة للمجموعات ذات التأثير السوفياتي، أو إلى الأقليات الشيوعية في سائر الكتل.

2 - تيار المنتجين: بين كبرى الكتل المنتجة وكبرى الكتل المستهلكة. من هنا، إن الكتل الانكليزية والفرنسية والالمانية تضع، مشتركة، بين 10% و20% من نتاجها الأدبي.

3 - تيار التوازن بين مناطق الضغط العالي الأدبي، ومناطق الضغط المنخفض الأدبي. فالأولى هي الكتل الكبرى المنتجة المذكورة أعلاه، وخاصة النواة اللغوية الصغيرة العالية الثقافة، والتي قرأء الأدب فيها يتجاوزون القرء العاديين، ويجدون مخرجاً لهم في الترجمة (كما الحال في هولندا والبلدان السكنديناوية). أما مناطق الضغط المنخفض الأدبي، ففي البلدان الناشئة الكثيرة الولادات حيث التطور الثقافي السريع للسكان، ويوجد حاجة ملحة للقراءة، لا تكفيها كمية الإنتاج المحلي (كما الحال في اليابان وأميركا اللاتينية).

أما الحدود الوطنية (وهي لا تتوازي دائماً مع الحدود اللغوية أو الثقافية)، فهي تقدّم، هي الأخرى، أطراً لتوزيع الكتاب. وحتى في البلدان، كما فرنسا، حيث يكثّر التصدير، ترجمات أو بيعاً مباشراً للكتب، تبقى أكثرية الإنتاج محصورة في السوق المحلية الداخلية. فالمعاملات الجمركية (وخاصة في البلدان المتنافسة من كتلة لغوية واحدة كما المملكة المتحدة والولايات المتحدة) وفارق العملة، تزيد من «بلقنة» الأدب، إنمّا، حتى القوانين الأكثر ليبرالية، كما تصورها الأونسكو، لا تحل المشكلة. فالقانون لا يجد في الكتاب إلا بضاعة مادية، ولا يعتبر إلا قيمته الصناعية.